الخطاب النقدي حول ظاهرة الجنس في أدب فؤاد التكرلي

الكلمة المفتاح: الخطاب، التكرلي، الروائي

البحث مستل من أطروحة دكتوراه

أ.م.د سعيد عبد الرضا خميس **م.م فاهم طعمة احمد**

جامعة ديالى، كلية التربية للعلوم الانسانية **المديرية العامة لتربية ديالى**

dr.saeed-2009@yahoo.com **fahimalazawi@yahoo.com**

الملخص

تعد ظاهرة الجنس من الظواهر الشائعة في أدب فؤاد التكرلي ، بل يمكن أن نعدها في مقدمة الموضوعات التي كتب فيها ، إذ إن التكرلي أول من تناول موضوعة الجنس في قصصه ورواياته تناولاً مباشراً وصريحاً أحياناً، على الرغم من أن الاقتراب من هذه الموضوعة كان يصطدم بالمحرمات الدينية والأخلاقية والاجتماعية، ويقينا أن التكرلي استفاد من عمله كقاضٍ في المحاكم ، من هنا فإن تعامله مع شخصياته كان تعاملاً على وفق منظور نفسي – اجتماعي ، لذا سعى النقاد إلى الكشف عن أسباب هذه الظاهرة، ومحاولة ردها إلى بعض القضايا الرمزية والنفسية والاجتماعية وغيرها ، وهذا ما نستشفه من خلال الخطابات النقدية المتعددة والتي تتصل بهذه الظاهرة لتفك الرموز عن شفراتها الغامضة .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد الصادق الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين وبعد :

إن أدب فؤاد التكرلي يشكل رافداً مهماً من روافد الأدب العربي عامة، والعراقي على وجه الخصوص، فهو أدب اجتماعي وإنساني يعكس ما يتصوره الكاتب تجاه مجتمعه وبيئته وأمته، وعلى هذا الأساس تشكلت حوله حركة نقدية واعية وناضجة بدأت في وقت مبكر منذ منتصف خمسينيات القرن الماضي وما تزال تعطي ثمارها لحد الآن ، أما بخصوص ظاهرة الجنس التي استوقفت النقاد، واتخذوا منها مواقف متباينة تتعلق بخطورة هذه الظاهرة في القصة العراقية من جهة، وأبعادها النفسية والاجتماعية لدى الشخصيات من جهة أخرى هذه الأمور وغيرها دفعت الباحث إلى الكشف عن أهم الخطابات النقدية المتابعة لهذه الظاهرة

البارزة في أدب فؤاد التكرلي الروائي والقصصي، وقد قسمت هذا البحث على ثلاثة مباحث . تناولت في المبحث الأول الجنس الدوافع والمسببات والمظاهر ، وعرضت في المبحث الثاني الجنس في قصص فؤاد التكرلي من خلال موقف النقاد منه، والمبحث الثالث كان مخصصاً لظاهرة الجنس في روايات فؤاد التكرلي التي بلغت فيها هذه الظاهرة ذروتها .

واتبعت البحث بخاتمة أعلنت فيها نتائج البحث التي توصلت إليها، وقائمة بأهم المصادر والمراجع التي استخدمتها في البحث .

المبحث الأول

الجنس، الدوافع والمسببات والمظاهر

يُعد الجنس من أقوى الغرائز وأبعدها أثراً في حياة الإنسان مهما كانت درجة وعيه وثقافته ومستوى تعلمه، ولما كانت هذه الغريزة تحاط بقيود وتقاليد وأوضاع اجتماعية خاصة، كانت عرضة للكبت بسبب ما ينتاب الإنسان من صراعات عقلية ونفسية، وكثيراً ما يدفع هذا الكبت إلى الإفصاح عن نفسه [١]، وقد يكون الجنس إثباتاً للذات، يحاول البروز على سطح الواقع لنبذ عوامل القهر والحرمان والاعتراف بالآخر. وقد ينشأ الدافع الجنسي نتيجة لحاجة بيولوجية ملحة تمثل الغريزة وتكون مشروطة بتغيرات عضوية مختلفة [٢]، وقد أوضح (كولن ولسن) المتخصص في هذا الموضوع ((إنَّ الجنس يتطلب مجالاً واسعاً للحديث عنه والتفصيل فيه، فهو موضوع حساس وحذر في الوقت ذاته، كونه يتصل بالذات الإنسانية ووجودها ودقائق أمورها الجسدية والبيولوجية المتمثلة بالعاطفة والغريزة واللذة والشهوة وما شابه ذلك من المصطلحات التي أقرها علماء النفس والتحليل النفسي منذ فرويد إلى يومنا هذا))[٣].

وظاهرة الجنس ليست جديدة على المجتمع، بل هي ظاهرة قديمة تعود إلى بدايات الإنسان الأولى، البدايات الفطرية التي قام عليها وهو ما يزال يبحث عن أنيس له في حياته، لكي يتخلص من فرديته وعزلته التي كان يعيشها [٤].

إن ما يعتمل في النفس من مشاعر وعواطف مكبوتة يكون سببها اجتماعياً أو نفسياً أو مادياً، لكن في الأغلب هي حاجة نفسية غريزية، يرغب الإنسان من خلالها إشباع رغباته الجنسية الدفينة، وقد توصل فرويد إلى أن الانحرافات الجنسية المختلفة التي يقوم بها الفرد سببها دوافع سلوكية وغريزية تظهر بشكل مفاجئ إلى أن تتطور لتصبح أكثر نضجاً في مرحلة الشباب الذي يخترق هذه الحجب، على وفق أهداف جنسية واضحة [٥].

كل هذا يحدث لكون الجنس مضمراً إنسانياً داخلياً يمكن تسميته بجنس اللاوعي يحاول المطالبة دائماً بتغيير الواقع من خلال عقد الموازنات الداخلية بين الحاضر المتشكل بعناصر الخمول الاجتماعي كالموت والسأم والإحباط ووسائل الاتصال الجديدة بالآخرين أو بالنفس ذاتها [٦]. والباحث يتصور أنَّ الجنس ظاهرة واعية يحرص أغلب الأفراد على ممارستها مع تغليب الذات على المجتمع لكونه ظاهرة فردية متشكلة من ذلك المجتمع غير خارجة عن إرادته، ولكنها تتسم بمواقف فردية متفاوتة، أما بالنسبة لظاهرة الجنس في القصة وعلى وجه التحديد في القصة العراقية، فقد عدّها الدكتور شجاع العاني مشكلة، ويعللها بوجود سببين، أولهما: ((اجتماعي ديني يرجع إلى موقف المجتمعات الإسلامية من قضايا الجنس والحب، مما جعل القاص العراقي والعربي بصورة عامة حذراً من اقتحامه للبيئة الإسلامية وحمله على الانتقال إلى قصص غريبة وإسباغ الأسماء الأجنبية على شخوصه ولاسيما الرئيسة منها. وثانيهما: ذاتي فردي يرجع إلى وعي الكاتب نفسه لمشكلة الجنس من جهة وإلى وعيه للأدوات الفنية للقصة من جهة أخرى))[٧].

وبطبيعة الحال تظل هذه المشكلة عرضة أمام الباحثين؛ إذ ينبغي الوقوف عليها بحذر شديد، والتعامل معها على أنها ظاهرة خطيرة في المجتمع، يمكن أن تعم طبقات اجتماعية مختلفة. وقد حدد شكري محمد عياد شرطين للكتابة في موضوعة الجنس في القصة أو الرواية دون أن يقع الكاتب في الابتذال الفني ((وأول هذين الشرطين هو أن يرى الجنس في ارتباطاته العميقة بسائر نواحي الحياة. وكلما كانت هذه الرؤية أعمق وأوسع كان الكاتب أبعد عن الابتذال، والشرط الثاني، أن يرى الكاتب الجنس رؤية موضوعية مبرأة من الشعور بإغرائه والشعور بإثمه على حد سواء))[٨].

وهنا يستلزم نضج العاطفة لدى الكاتب كما يستلزم نظرة جادة إلى فنه، ووعياً بأن الفن أولاً وأخيراً هو تنظيم للحياة. إنَّ فؤاد التكرلي قد استخدم هذه الظاهرة على وتيرة واحدة لمراحل مختلفة من حياته الإبداعية، مسوغاً أهم الدوافع والمسببات التي دفعته للكتابة في هذا الموضوع، إذ يقول ((أنا أمارس الكتابة على وتيرة واحدة تقريباً من زمن بعيد، إنها مسألة حاجة نفسية، ورغبة في التوازن بين الحياة المعاشة وبين الفكر والأحلام))[٩]. ففي مسألة الجنس والقضايا المحرمة نجد التكرلي لم يتغير في الكتابة عن هذا الموضوع، بل ظل ملتصقاً به وربما يعود السبب في ذلك لنجاحه فيه، وتأثيره المباشر في المتلقي، ورغبته الجامحة في الاستمرار على هذا النهج في أغلب قصصه ورواياته.

وعلى وفق ما تقدم نجد أن هناك مظهرين من مظاهر الجنس في الكتابة القصصية والروائية لدى فؤاد التكرلي هما: ظاهرة البغاء، وظاهرة التابو المحرم أو العلاقات الجنسية غير الشرعية، وتعد ظاهرة البغاء من الموضوعات المهمة التي أولتها القصة العراقية إهتماماً واسعاً يفوق إهتمامها بالموضوعات الأخرى التي عالجتها. والبغاء معناه ((حدوث عملية جنسية بين رجل وامرأة لتلبية حاجة الرجل الجنسية، ولتلبية حاجة المرأة الاقتصادية، وبالرغم من أن الحاجة الجنسية في الحضارة الذكورية عامة، ليست في أهمية الحاجة الاقتصادية، إلا أن المجتمع يعد حاجة المرأة، أقل أهمية من حاجة الرجل وهذا هو الأمر دائماً في حالة عدم التساوي بين الأفراد [١٠]. ويمكن أن ترد هذه الظاهرة إلى النظم غير العادلة التي تبيح هذه الأفعال، بحكم عدم منطقيتها، وظلمها لشعوبها في الوقت ذاته، مما يؤدي بهؤلاء الأفراد ولاسيما النساء منهم إلى الخروج عن التقاليد المجتمعية، وممارسة أفعال ينبذها المجتمع.

وقد سوغ الدكتور شجاع العاني بروز ظاهرة البغاء بوجود سببين ((الأول: الانفصال الشديد بين الجنسين والذي كان من نتائجه رواج الفكرة القائلة بأن الجو العراقي لا يصلح لكتابة قصة بسبب فقدان التربة الغرامية فيه، وقد أدى هذا الانفصال إلى حرمان الكتاب العراقيين من عنصر مهم من عناصر الفن القصصي وهو المرأة، والثاني: هو أن الأدب العراقي الحديث أدب هادف ذو رسالة اجتماعية إصلاحية، وكان انبثاق هذا الأدب ضرورة أملتها الرغبة في الإصلاح والتعبير الاجتماعي))[١١].

أما التابو المحرم ((فهو الشيء المقدس الذي لا ينبغي أن يلحقه دنس))[١٢]، وهو يمثل الانحراف الجنسي بكليته وبأقصى حدوده لدى الإنسان، وقد رده فرويد إلى اصول نفسية، وهذا التابو يهيئ الطريق إلى الزنا بالمحارم التي تطلق على من ((يحرم الزواج بهن بسبب القرابة، ولا يخلو مجتمع من هذا النظام، وتختلف المجتمعات في التضييق والتوسع، من نطاق القرابة الشاملة للتحريم، ويدخل مفهوم المحارم في التحليل النفسي ضمن ما اصطلح عليه باسم عقدة أوديب))[١٣].

وقد تأتي لفظة التحريم ((بمعنى المنع وهو ضد الحلال والحرم الذي حرم مسه، فلا يدنى منه، والحرم لا يحل إنتهاكه وحرمة الرجل بمعنى حرمة أهله عليه، فلا يجوز أن يتصل بها جنسياً، وحتى إنَّ كان لمسة خفيفة لكنها تؤدي إلى آثار سلبية عارمة))[١٤].

وحينما نطل على عالم فؤاد التكرلي القصصي والروائي نجد هذه الظاهرة (الزنا بالمحارم) بارزة فيه بشكل واضح إذ يعنى هذا الأدب بالموضوعات الجنسية أو العلاقات الجنسية غير

الشرعية التي تتسم بالغرابة والشذوذ ((وهذه العلاقات تتنافى مع التقاليد والقيم والاعتبارات الأخلاقية، علاقة أب بأبنته أو رجل مع زوجة أخيه وآخر مع أبنة زوجته)[١٥]، وهذه الظاهرة والتي سبقتها أي البغاء نتعرف على تفاصيلها إجرائياً في قصص وروايات التكرلي في المباحث اللاحقة.

المبحث الثاني

الجنس في قصص فؤاد التكرلي

تبرز ظاهرة الجنس في قصص فؤاد التكرلي بشكل واضح، ولاسيما في قصصه الأولى التي احتوت أغلبها على هذه الظاهرة، فهذه قصة (العيون الخضر) تتحدث عن بغي اسمها (سليمة) تترك موطنها الأصلي في إيران وتنتقل إلى بغداد، ثم إلى كربلاء لتمتهن هذه المهنة رغماً عنها بعد وفاة أبيها وأمها، وزواجها من رجل يكبرها سنوات عدة. إنَّ من أسباب انحرافها هو التخلف الاجتماعي، وما يتبعه من تخلف عقلي وثقافي هو الذي دفع بها إلى أن تحترف البغاء مرغمة على ذلك[١٦]. إنَّ السر وراء نجاح التكرلي في هذه القصة هو تأثيرها المباشر في السامع، ورغبة الكاتب في إيصال رسالة واضحة على تفشي هكذا ظواهر في المجتمع.

وقد تجسدت ظاهرة الجنس في قصة (موعد النار) لكن بشكل مضمر، إذ عمد بطل القصة (عبد الرضا) إلى ممارسة الجنس مع الفتاة التي رآها في طريقه في إحدى بساتين ديالى [١٧]، وفي قصة فؤاد التكرلي الأولى (همس مبهم) ١٩٥١، التي كتبها عن الطبقات المترفة في المجتمع، قبل أن يتحول إلى الأوساط المجتمعية الأخرى، في هذه القصة ((يصف التكرلي العائلة المتفسخة والزوج بعواطفه المضطربة والمرأة الجريئة في غير حياء، العابثة في هوادة، وهي تمثل بعض نساء الطبقة المترفة التي تحيا حياة الفجور والضياع، مقلدة المرأة الغربية في فجورها، وخروجها من البيت، وعلاقاتها بالرجال، وغير ذلك من الأمور))[١٨].

إنَّ أفعال المرأة في قصة (همس مبهم) وتصرفاتها غير اللائقة أمام ولدها سبب له شعوراً بالنقص، فهو يرى في أمه ممثلة بارعة في التمثيل في حركاتها، وشربها للخمور وخروجها مع صديقاتها، لذلك ((يظهر هذا الشذوذ الجنسي كأنه شيء أصيل راسخ في الإنسان، فبطله غلام مراهق حساس، كانت تمزقه، عواطفه المضطربة الحادة تجاه أمه التي لم يكن يحسن تبيين طبيعتها، وهو يراها تغرق في حياة ماجنة عابثة تقودها أخيراً إلى الانفصال عن

أبيه))[١٩]، وبعد انفصالها عن أبيه يبقى قلبه معلقاً بها، وعاطفته الجامحة تسعى للعثور عليها، والاحساس الأوديبي بحبها والتعلق بها [٢٠]، ويشير الدكتور عمر الطالب إلى أن ((المرأة التي صورتها القصة صورة صادقة للمرأة المستهترة في أسرة متفسخة وهو إذ يلتقط هذه الصورة لا يلتقطها بعدسة فوتوغرافية بقدر ما يوحي إلى القارئ بتفسخ هذه الطبقة وانحدارها نحو التلاشي بحكم الحتمية التاريخية))[٢١].

ولا تفوت الباحث قصة (الغراب) ١٩٦٢ التي تجسد هذه العلاقات الجنسية غير الشرعية أحسن تمثيل ((وقد التزم التكرلي في هذه القصة بما كان ينتجه في قصص الخمسينيات، والموضوع الذي يتوخى فيه التفصيل والدقة للكشف عما ستر من مظاهر تنخر من جسد المجتمع العراقي، ذلك الموضوع الذي لا يجرؤ غير التكرلي على طرقه وإخراج أبعاده إلى الشمس الساطعة، بعد أن لفه الظلام والخشية مدة طويلة، إنه ناموس الخليقة يشترك فيه الإنسان والحيوان))[٢٢]، ويتناول التكرلي في قصة (الغراب) العلاقات الآثمة التي تقرب من إثم المحارم، وهي تكشف عن ((كره الزوجة لسلفتها التي جاء بها زوجها ذات يوم إلى الدار وأسكنها غرفة مجاورة لغرفتها، تلك المرأة الداعرة التي لا تكف عن الغناء والخلاعة أبداً، لقد كبستهما متلبسين بالجرم المشهود. وبين الحلم واليقظة ترى ذبالة الفانوس تتحرك وامضة في غرفة سلفتها))[٢٣]، وحسب الدكتور عبد الإله أحمد نجد شخصية البطل في الغراب من نوع مختلف ((فهو رغم إقدامه على ممارسة العلاقات الجنسية غير الشرعية إلا أنه حريص على أن تظل ممارسته لهذه العلاقات في الخفاء، لذا تراه يقدم على قتل زوجته التي اكتشفت علاقته الجنسية بزوجة أخيه))[٢٤].

وقد رأى الناقد ناطق خلوصي ((إنَّ الانحطاط القيمي للزوج على زوجته؛ لأنه كان يخونها مع زوجة أخيه، الأمر الذي تكون معه المرأة مقتولة مرتين، في وجودها وقيمها، وفي الغراب يستغرب القراء إلى عدم حتمية أن تكون المرأة في إطار ما يوصف بالخيانة الزوجية هي الخائنة حصراً، ففي جرائم من هذا الطراز قد تؤخذ اجتماعياً على أساس شهادة القاتل الرجل –الذي يتهم زوجته بالخيانة في حين أنها تنطوي على خيانته هو للمرأة زوجة وإنساناً))[٢٥].

وربما نلحظ في هذه القصة احتجاجاً نسوياً على عالم رجولي ظالم لم يعر اهتماماً للقيم السائدة، والأعراف المتبعة، ولكنه يحاول أن يخرقها ويتجاوز على حرمة أهله وهي في دارها، بوصفها الزوجة الأولى له. إنَّ التكرلي يدخل الميدان الذي عدته الأعراف المتوارثة محرماً ليثير مختلف التساؤلات عنه ((رغم قناعته أن المعرفة المحرمة التي تمزق براقع

المتوارث، وتهيج المياه الراكدة، قد تأتي في قصة الغراب بالموت لحاملها لكن تنويعه على هذه الموضوعة هو أيضاً كشف آخر يثير المزيد من التساؤلات حول أسرار الغريزة في شكلها الأولي الحيواني، والتي يهولها إفتضاح أمرها فتصبح دافعاً للاجرام والعنف في هذه القصة))[٢٦].

وقد تتحول الغرائز الغامضة إلى انفعالات قاتلة عندما يشعر الزوج بعيني زوجته يلومان فيه الخيانة ليصبح اللازم لحظة الكاتب للدخول في مأزق الشخصية الشرقية عندما تريد الحقيقة لتدفع في كبريائها إلى التأثر الجسدي بعد ذلك الامتهان النفسي، ويقتل الزوجة مرتين، بينما يصبح معادل القصة الموضوعي، أي القصة التي تحكيها (نجيبة) لابنتها تقصها وتكتبها في آن واحد[٢٧]، وقد تفصح (نجيبة) في قصة الغراب عن خيبتها يوم وجدت زوجها في أحضان (فضيلة) زوجة أخيه المسافر ولكي يبني التكرلي القصة –هنا– يلجأ إلى الاقصاء ثانية، وإقصاء زوج (فضيلة) إقصاء (أم نجيبة) أيضاً)[٢٨].

لذا تلتقي هذه القصة مع كثير من قصص التكرلي التي تدور حول الخيانات الزوجية. وتجارب الحب الفاشل فهي لا يمكن أن تكشف عن رمز سياسي بعيد كما ذهب إلى ذلك الدكتور عبد الإله أحمد من دون أن ينظر إلى قضية الزنا بالمحارم التي تخترق العرف، وتتجاوز التقاليد المعروفة [٢٩]، وهناك قصص تتناول المضمون نفسه، إذ تتسم بالعلاقات الجنسية غير الشرعية [٣٠]، أب يحاول الانقضاض على زوجة أبنه في ليلة مظلمة غائمة، كما هو الحال في قصة (القنديل المنطفئ). وزوج يحاول مؤانسة إبنة زوجته وملاطفتها في قصة (الدملة)، وأخ يمارس ظاهرة الجنس غير الشرعي مع أخته التي تحرق نفسها خوفاً من الفضيحة، وغيرها من القصص الأخرى. لكننا وفي أثناء البحث حاولنا الاقتراب من قصص تنطوي على المضمون نفسه، لكن لم نجد النقاد قد حللوها وكشفوا مضامينها المختلفة وهي تصب –فعلاً– في مجرى العلاقات الجنسية الآثمة. ففي قصة (خزين اللامرئيات) نتعرف على بطل قصة المجموعة نفسها (خزين اللامرئيات) (عبد الرحمن) الذي مارس الجنس مع (خديجة) جارته التي كانت تسكن في منطقة (باب الشيخ) وهي من أصل تركماني، جاء ذلك بعد استذكاراته في هذا الموضوع، إذ يقول ((آه كم أتذكر جيداً حرارة بطنها وصدرها ونعومتها وتلاقي أعضائنا وأفخاذنا))[٣١]. وفي قصة (المنحدر) التي تنتمي إلى المجموعة نفسها، يمارس (عبد الهادي) مدير المدرسة الجنس مع إبنة صاحب المقهى (رابحة) ولكنها في النهاية تحاول قتله، لأنه أراد الزواج من ابنة عمه، ويتركها وحال سبيلها. ونجد ظاهرة

الجنس في مجموعة التكرلي القصصية (حديث الأشجار) لاسيما في قصة (سر الطفل) التي تحكي عن سر إعجاب رجل بجارته (بهيجة) الأرملة التي مات زوجها وتركها وحيدة، وهي تحاول أن تبيع جسمها لأشخاص آخرين، وتكشف عن نواياها السيئة في إبراز مظاهر جسمها اللطيف، وهي تشتعل عاطفة في حياتها، وتبحث عمن يسد عليها فراغها ووقتها، إذ نجد أن ابنها (أحمد) يحاول الكشف عن مظاهر جسد أمه التي ترتدي فستاناً ضيقاً، يهصر جسدها، ويبرز نهديها بشكل مبالغ فيه[٣٢]. وفي قصة (الاختيار) يكتشف بطل القصة (عباس الحداد) يوم الدخلة إنَّ زوجته (حسنة) ذات الملامح الجذابة ليست باكرة، ثم يطلقها وتذهب إلى حال سبيلها [٣٣]، وهو لم يفلح في اختياره، بل فشل فيه أسوة بأبطال التكرلي الآخرين، ومنهم (مدحت) في رواية (الرجع البعيد).

المبحث الثالث

الجنس في روايات فؤاد التكرلي

على الرغم من التشابه الكبير بين قصص التكرلي ورواياته في التطرق إلى ظاهرة الجنس، إلا أنهما قد يختلفان في سعة الموضوع في الرواية عنه في القصة، فالرواية عمل فني كبير يستوعب كثيراً من العناصر والمقومات السردية، وكذلك المضامين الإنسانية وغيرها، لذا يكون الجنس فيها ظاهراً بشكل واسع، والدليل على سعة موضوع الجنس في الرواية ما نلحظه في رواية التكرلي (المسرات والأوجاع) ذلك العمل الروائي الضخم الذي بناه التكرلي بناءً فنياً ناضجاً يحتوي على موضوعات شتى في مقدمتها موضوع الجنس الذي يشكل نسبة كبيرة من ثيمة الرواية، وقد بلغ فيها الجنس ذروته من خلال علاقات (توفيق) بطل الرواية .

ونحاول أن نتوقف عند روايتين تكشفان حقيقة الجنس بشكل أوضح، وهما روايتا (بصقة في وجه الحياة) ورواية (الرجع البعيد)، وكان السبب وراء توقفنا أمام هذين العملين الروائيين هو تعدد الخطابات النقدية حولهما، وأهميتهما في الأوساط الأدبية والنقدية، وانجذاب القارئ نحوهما لكونهما من الروايات الكبيرة التي كتبها فؤاد التكرلي، ولاسيما رواية (الرجع البعيد) التي خلفت وراءها كشفاً نقدياً مهماً في العراق وغيره. وأول نقد لرواية (بصقة في وجه الحياة) يواجه الباحث –هو– نقد الدكتور عبد الإله احمد الذي حاول أن يقف طويلاً أمام عتبات هذا النص الذي لم ينشره التكرلي في الصحف والمجلات العراقية والعربية، بسبب مضمونه غير الشرعي[٣٤]، ويعلن الدكتور عبد الإله أحمد أن ((بصقة في وجه الحياة تطرح

موضوعاً أو مضموناً يتناول الجنس بشكل لم يجرؤ عمل قصصي على طرحه في الأدب العربي الحديث حتى تاريخ كتابتها))[٣٥].

وفضلاً عن ذلك فإن هذه الرواية تحمل من الدلالات والأفكار الذهنية ما يجعلها تعكس جانباً مهماً من محاولة الكاتب في كتابة رواية فلسفية يضع فيها التكرلي بطله في اختبار القيم والاعتبارات الأخلاقية التي تحول بينه وبين ابنته[٣٦]، ويشير الناقد ناطق خلوصي إلى أن ((مضمون رواية بصقة في وجه الحياة ينطوي على حساسية خاصة، وهي أن الروائي يتناول موضوعة كان تناولها موضع اعتراض، ورفض اجتماعي وأخلاقي يستلزم قدراً من الجرأة والقدرة على مواجهة (ردود الأفعال التي يتعرض لها كاتبها))[٣٧]، وإن التكرلي يتعامل مع ثيمة الجنس من منظور اجتماعي ومن منطلق انحيازه إلى المرأة العراقية واسقاط الضوء على اشكال معاناتها المختلفة فهو يسقط بطله أخلاقياً قبل ان يجعله في مواجهة مساءلة قانونية بعد أن عرضه إلى هزيمة مشينة أمام ابنته التي كان هو وراء انحرافها[٣٨]، ويذكر حسين سرمك حسن أن التكرلي كان في رواية (بصقة في وجه الحياة) من ((أكثر الكتاب العراقيين والعرب اقتداراً وجرأة في طرح هذه المسألة الشائكة التي تعد من المحرمات الدينية والاجتماعية، فهو صاحب السبق في مجال الريادة على المستوى العربي))[٣٩]، إنَّ اقتراب بطل الرواية (محي من ابنته (فاطمة) التي وجد فيها سمات خاصة، تفرقها عن أخواتها، أنها جميلة في رأيه، رائعة في كل شيء ((لذا انساق مع رغبته الجنسية الشاذة، ولم يستطع منع نفسه من الانزلاق إلى هذه الهاوية. ولكن رغم انقياده الأعمى هذا كان على وعي تام بالقيمة الخلقية المنحطة لما ينوي فعله ويفكر فيه))[٤٠]، من جانب آخر نجد بداية الأب غير صحيحة، فهو يقبل الرشوة وتسوغ له نفسه بالقبول بأي عمل يؤدي إلى اكسابه أشياء غير شرعية ((لكن الأب في الحاضر يعتصم بالصمت والسكينة، وهو يراقب انحلال عائلته وانفلات بناته الثلاث، فاطمة وصبيحة وساجدة، إلا أنه معجب بفاطمة، أنه يراها فتاة أجنبية عنه))[٤١].

إنَّ رواية بصقة في وجه الحياة تدل ((دلالة واضحة من خلال عنوانها على الزنا بالمحارم، ذلك ببصقة على الحياة التي تمنعه عن ممارسة حريته في إشباع غريزته الجنسية والاستمتاع بلذاته، فنجد محي يقع تحت سيطرة (الهو) ويحولها إلى واقع فيحاول اغتصاب ابنته ولم يبال لما سيحدث بعد ذلك))[٤٢]، لذا كانت نظرته الى ابنته نظرة جنسية، وليست نظرة أبوية خالصة، والذي دفع الأب إلى فعل هذه الأشياء في نظر الباحث –ابنته فاطمة

نفسها، فهي التي شجعت والدها على اشتهائها وكان ذلك عفوياً، وقد قامت بهذه الأفعال؛ لأنها فتاة جميلة، مدللة تحب أن تظهر جمالها بكل شيء [٤٣]، ويذكر علي حاكم صالح إنَّ ((انتهاكية هذا النص لم تصل إلى نهايتها المفجعة فالأب استبدل نيته الجنسية المنحرفة تجاه ابنته بقتلها، ومن ثم القي القبض عليه بوصفه قاتلاً))[٤٤]، لذا ترك التكرلي نهاية هذه الرواية مفتوحة ليشعر القارئ بمدى التزامه بالقيم الاجتماعية الراسخة، حتى لا تصل الأحداث إلى ما يستساغ فعله مطلقاً [٤٥].

وتبرز ظاهرة الجنس بشكل أوضح في رواية (الرجع البعيد) لاسيما الجنس بالمحارم، فقد عمد (عدنان) على اغتصاب خالته (منيرة) التي تمثل الحدث المركزي في الرواية ويبدو أن عنفوان الشباب، والمظاهر البراقة في الطبيعة التي حدث فيها الاغتصاب، ومنيرة نفسها هي التي ساعدت (عدنان) على الممارسة الجنسية من خلال مظهرها الجذاب، وتوسلها إليه أن يخرجها إلى المزارع في أيام الربيع الجميلة، فضلاً عن ذلك((أن منيرة عندما اغتصبت كانت فتاة مراهقة))[٤٦]، وقد عدّ الدكتور شجاع العاني عمل الاغتصاب عملاً همجياً، يرتكب فيه الإنسان إثماً بحق أمه وأخته. وهو سلوك بدائي لا يمت الى المجتمع والدين بصلة [٤٧]، وقد حاول عبد الله نيازي أن يجعل من الصراع الجنسي والعاطفي الذي يهز العائلة ويحرك من سلوكها في رواية الرجع البعيد حدثاً داخلياً [٤٨].

وقد عدّت (منيرة) من الشخصيات الإشكالية التي تنطوي على أزمات وإفرازات أخلاقية محرمة، تتمثل إشكاليتها في أنها رمز من رموز هذا المجتمع الباحث عن هويته [٤٩].

ويؤكد الدكتور سلمان كاصد ((إنَّ الاغتصاب في الرجع البعيد كان عنصراً مهيمناً حتى في وضع حضاري جديد تغيرت فيه قسمات الواقع والبيئة لذلك نجد الزنا بالمحارم بؤرة مركزية في الرواية، إذ يكتسب دلالات مركزية واضحة))[٥٠]، وقد ربط النقاد بين اغتصاب منيرة وبين قيام الثورة على عبد الكريم قاسم [٥١]. ونحن نختلف مع هذه الرؤية التي تربط بين عمل غير أخلاقي وعمل سياسي اجتمع له أشخاص كثيرون لتغيير واقع ما. وقد تمثل روايات فؤاد التكرلي الأخرى الجنس بوضوح، لاسيما (خاتم الرمل) التي تحكي تعلق الأبن (هاشم) بأمه، ورواية (المسرات والأوجاع) التي تثير فينا الدهشة على ما يفعله بطلها (توفيق لام) من ممارسات جنسية تبلغ حدود المعقول، ورواية (اللاسؤال واللاجواب) التي تركز على مراودة الاب (عبد الستار زهدي) لابنة زوجته، والتلذذ بمفاتنها الجميلة، إلا أن الباحث لم يعثر على وقفات نقدية جادة تخص ظاهرة الجنس، حتى يتمكن من الوقوف على عتباتها

النصية المختلفة، إذن أصبحت هذه الظاهرة أمراً مكشوفاً في أدب التكرلي بعدما كان الكتاب يتحذرون من الكتابة فيه، ولعل التكرلي قد وجد في الكتابة عن الجنس المتنفس الذي يعطيه حريته وربما اتخذه كرمز للكشف عن مظاهر المجتمع السيئة وربما تكون ضرورة فنية لديه اقتضتها الحاجة الماسة وواقع الحال. وفضلاً عن ذلك عمل التكرلي في المحاكم الذي هيأ له المجال كافياً للتعبير عما يحدث في أروقة المحاكم من قضايا تمس حياة الناس وظروفهم المجتمعية الخانقة.

الخاتمة ونتائج البحث

رصد البحث أن ظاهرة الجنس بصفة عامة، والزنا بالمحارم على وجه الخصوص، تعد ظاهرة مقصودة في أدب فؤاد التكرلي، بمعنى أنها لم تأت من فراغ، وإنما كانت هناك قراءات متعددة للكاتب في هذا المجال الذي يعد سمة من سمات القصة العراقية الحديثة، على الرغم من أن الحب المحرم هو من أكثر الموضوعات شيوعاً في أدب التكرلي، بل لعله الموضوع الوحيد الذي يأخذ حيزاً كبيراًُ في هذا الأدب، فان مثل هذا الحب وما ينتهي إليه من سفاح يكتسب في الرواية دلالات رمزية واضحة في أغلب أعمال التكرلي التي تتميز بخصوصية الظاهرة ويتصور الباحث أن مرد هذه الظاهرة الخطيرة هو الفكر الذي يحمله التكرلي، وفلسفته الخاصة في الحياة، التي تبرهن على سمة اطلاعه ومخيلته التي تضرب في الآفاق، وهي تتيح له التعرف على أمور شديدة الخفاء، يستخرج منها موضوعات شتى، ناهيك عن امتهان التكرلي مهنة القضاء التي عرّفته على مواقع هذه الظاهرة، ومسوغاتها في المجتمع. ذلك المجتمع المتناقض الذي يعيش أزمات متكررة رغماً عنه.

Abstract

Critical Discourse on Sexuality in the Works of Fuad Al Tikirli

Keywords: Discourse, Tikrili, Novelist

A Ph.D. Dissertation derived paper

Ph.D. Candidate
Asst. Ins. Fahim Tu'ma Ahmed
General Directory of Education in Diyala, Asadullah Preparatory School

Supervisor
Asst. Prof. Sa'ed Abduridha Khamees (Ph.D.)
University of Diyala, College of Education for Human Sciences

The Phenomenon of sex common in Fuaad Al- Tikarlys literature and we can place it in the introduction to his writings – He was the first to address the topic of sex in his stories and novels directly and sometimes explicitly despite approaching this topic made him collide with religious, moral and social tabiis. He certainly benefited from his work as adjudge in the courts. Hence dealing with characters were treated according to psychical perspective. So critics Sought to uncover the causes of this phenomenon and tried to relate it to some symbolic issues, psychological an social, etc. this is what critics are telling us through letters about the Phenomenon of sex in Al- Tikarlys stories and noveis.

الهوامش

(١) ينظر: توظيف الجنس في الرواية العربية الحديثة في ضوء النقد الثقافي، حيدر عبد كاظم سلطان الجبوري: ٥.

(٢) ينظر: سيكولوجيا العلاقات الجنسية، ثيودور رايك، ترجمة ثائر ديب، ٢١.

(٣) أصول الدافع الجنسي، كولن ولسن، ٥.

(٤) ينظر: أزمة الجنس في القصة العربية، د. غالي شكري، ٢٩.

(٥) ينظر: المعجم الموسوعي للتحليل النفسي، ٢٢٧.

(٦) ينظر: توظيف الجنس في الرواية العربية الحديثة، ٧.

(٧) مشكلة الجنس في القصة العراقية، شجاع العاني، ٥.

(٨) تجارب في الأدب والنقد، الدكتور شكري محمد عياد، ٢٦٤.

(٩) مسائل ثقافية تبحث عن الطريق الواحد من منظور قومي، حميد المطبعي، ٦.

(١٠) المرأة والجنس (الأنثى هي الأصل) الدكتورة نوال السعداوي، ٨٨.

(١١) المرأة في القصة العراقية، شجاع مسلم العاني، ١٠٨.

(١٢) المعجم الموسوعي للتحليل النفسي، ٩٧.

(١٣) المصدر نفسه : ٢٧٥.

(١٤) عالم النص، د. سلمان كاصد، ٣٢.

(١٥) الأدب القصصي في العراق، ٢٩٨.

(١٦) المرأة في القصة العراقية، ٢٠.

(١٧) ينظر: الوجه الآخر، دراسة نقدية، علي عبد الحسين مخيف، ٨٣.

(١٨) القصص في الأدب العراقي الحديث، عبد القادر حسن أمين، ١٢٦.

(١٩) الأدب القصصي في العراق، ٣١٧.

(٢٠) ينظر: المصدر نفسه : ٣٢.

(٢١) القصة القصيرة الحديثة في العراق، د. عمر الطالب، ٣٤٢.

(٢٢) المصدر نفسه : ٣٥٨.

(٢٣) المصدر نفسه : ٣٥٧. وينظر: الأعمال الكاملة، القصص، مج٥، ٢٥٧.

(٢٤) الأدب القصصي في العراق، ٣٣١. وينظر: خصوصية شخصية المرأة في منجز التكرلي السردي، ١٤.

(٢٥) الوجه الآخر، دراسة نقدية، ١٣٩.

(٢٦) نزعة الحداثة في القصة العراقية، ٩٤.

(٢٧) رؤية الرجل الصغير في القصة العراقية، ٥٦.

(٢٨) عالم النص، ٤٧.

(٢٩) المصدر نفسه : ٤٨.

(٣٠) ومن أهم هذه القصص التي تحمل المضمون غير الشرعي هي (أمسية خريف، ١٩٥٢، المجرى ١٩٥٣، القنديل المنطفئ ١٩٥٤، الدملة ١٩٦٦، التنور ١٩٧٣)، وينظر: الأدب القصصي في العراق: ٣١٧- ٣٣٤.

(٣١) خزين اللامرئيات، فؤاد التكرلي، ١٧.

(٣٢) حديث الأشجار، فؤاد التكرلي، ١١- ١٢.

(٣٣) المصدر نفسه : ٣٦.

(٣٤) الأعمال الكاملة، المقالات، مج٦، فؤاد التكرلي، ١٣.

(٣٥) الأدب القصصي في العراق، ٣٠٠.

(٣٦) المصدر نفسه : ٣٠١.

(٣٧) النص الملعون وجدار العزلة النقدية، ناطق خلوص، جريدة الزمان، ٢٠١٣/٢/١٨.

(٣٨) ينظر: المصدر نفسه .

(٣٩) بصقة في وجه الحياة، فؤاد التكرلي اختصاص أدب المحارم، ٢٧.

(٤٠) المجتمع اللااجتماعي، دراسة في أدب فؤاد التكرلي، ٥٣.

(٤١) بصقة في وجه الحياة، فؤاد التكرلي اختصاص أدب المحارم، ٣٢- ٣٣.

(٤٢) صورة المثقف في روايات فؤاد التكرلي، رسالة ماجستير ، آلاء قحطان عبد الرحمن، ٩٤.

(٤٣) ينظر: المصدر نفسه : ٩٦.

(٤٤) المجتمع اللااجتماعي، ٥٧.

(٤٥) ينظر: المصدر نفسه : ٥٨.

(٤٦) ينظر: فؤاد التكرلي ظلمات مضيئة، كلود كلوني، ٩٨.

(٤٧) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق، د. شجاع مسلم العاني، ١٣٨.

(٤٨) قراءة نقدية في رواية الرجع البعيد، عبد الله نيازي، ١٢٤.

(٤٩) ينظر: خصوصية حضور شخصية المرأة في منجز التكرلي، ١٩.

(٥٠) عالم النص، ٥٨.

(٥١) ينظر: المجتمع اللااجتماعي، ٦٩.

المصادر والمراجع

- الأدب القصصي في العراق، منذ الحرب العالمية الثانية اتجاهاته الفكرية وقيمه الفنية، د. عبد الإله أحمد، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧.
- الأعمال الكاملة، القصص، مج٥، فؤاد التكرلي، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٢.
- الأعمال الكاملة، المقالات، مج٦، فؤاد التكرلي، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٢.
- أزمة الجنس في القصة العربية، د. غالي شكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٧٨.
- أصول الدافع الجنسي، كولن ولسن، دار الآداب، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٨٦.
- البناء الفني في الرواية العربية في العراق، بناء المنظور، ج٣، الدكتور شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠١٢.
- تجارب في الأدب والنقد، د. شكري محمد عياد، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧.

- حديث الأشجار، فؤاد التكرلي، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٧.
- خزين اللامرئيات، فؤاد التكرلي، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١،٢٠٠٤.
- رؤية الرجل الصغير في القصة العراقية، قضية التجريب والحداثة في الخمسينيات، د. محسن جاسم الموسوي، الموسوعة الصغيرة، ع٣٦٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩١.
- سيكولوجيا العلاقات الجنسية، ثيودور رايك، ترجمة ثائر ديب، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٨.
- عالم النص، دراسة بنيوية في الأدب القصصي، فؤاد التكرلي إنموذجاً، الدكتور سلمان كاصد، دار الكندي، الأردن، ط١، ٢٠٠٣.
- القصص في الأدب العراقي الحديث (صور حية لأحاسيس الشعب في أربعين سنة) عبد القادر حسن أمين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٦.
- القصة القصيرة الحديثة في العراق، د. عمر الطالب، جامعة الموصل، ١٩٧٩.
- المجتمع اللااجتماعي، دراسة في أدب فؤاد التكرلي علي حاكم صالح، دار التنوير، بغداد، ط١، ٢٠١١.
- المرأة في القصة العراقية، شجاع مسلم العاني، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط١، ١٩٧٢.
- المرأة والجنس (الأنثى هي الأصل) د. نوال السعداوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٧٤.
- مسائل ثقافية تبحث عن الطريق الواحد من منظور قومي، حميد المطبعي، منشورات الثورة، بغداد، ١٩٧٨.
- المعجم الموسوعي للتحليل النفسي، د. عبد المنعم الحنفي، مكتبة مدبولي، القاهرة، د. ت.
- نزعة الحداثة في القصة العراقية، د. محسن جاسم الموسوي، المكتبة العالمية، بغداد، ط١، ١٩٨٤.

- الوجه الآخر، دراسة نقدية، علي عبد الحسين مخلف، الموسوعة الصغيرة، ع٢٥٦، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦.

الدوريات

- خصوصية حضور شخصية المرأة في منجز التكرلي السردي، ناطق خلوصي، مجلة إمضاء، ع٥- ٦، ٢٠١٤.
- بصقة في وجه الحياة، فؤاد التكرلي اختصاص أدب المحارم، حسين سرمك حسن، مجلة إمضاء، ع٥-٦، ٢٠١٤.
- فؤاد التكرلي ظلمات مضيئة، كلود كلوني، مجلة الأقلام، ع٤، ١٩٨٦.
- قراءة نقدية في رواية الرجع البعيد، عبد الله نيازي، مجلة آفاق عربية، ع٦، ١٩٨٢.
- مشكلة الجنس في القصة العراقية، شجاع مسلم العاني، مجلة الكلمة، الحلقة الثانية، ١٩٦٧.
- النص الملعون وجدار العزلة النقدية، فؤاد التكرلي في لحظة القطف قبل الآوان، ناطق خلوصي، جريدة الزمان، ٢٠١٣/٢/١٨.

الرسائل والأطاريح:

- توظيف الجنس في الرواية العربية الحديثة في ضوء النقد الثقافي، أطروحة دكتوراه ، حيدر عبد كاظم سلطان الجبوري، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور عصام عسل العتابي، ٢٠١٣.
- صورة المثقف في روايات فؤاد التكرلي، رسالة ماجستير ، آلاء قحطان عبد الرحمن العنبكي، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالى، باشراف الأستاذ المساعد الدكتور علي متعب جاسم، ٢٠١٤.